

تفسير البحر المحيط

@ 399 @ في ظاهره ، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ، ففكر وراجع نفسه وغيره ، ففتح ا□ عليه ، وتبين مطابقة المتشابه المحكم ، إزداد طمأنينة إلى معتقده ، وقوة في اتقانه . إنتهى كلام الزمخشري ، وهو مؤلف مما قاله الناس في فائدة المجيء بالمشابه في القرآن . .

ولما ذكر تعالى أول السورة { اللَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَـَـيْكَ الْكِتَـَابَ } ذكر هنا كيفية الكتاب ، وأتى بالموصول ، إذ في صلتها حواله على التنزيل السابق ، وعهد فيه . وقوله : { مِنْهُ آيَاتٌ مُّذَكَّرَاتٌ } إلى آخره ، في موضع الحال ، أي : تركه على هذين الوجهين محكما ومتشابهاً ، وارتفع : آيات ، على الفاعلية بالمجرور لأنه قد اعتمد ، ويجوز ارتفاعه على الإبتداء ، والجملة حالية . ويحتمل أن تكون جملة مستأنفة ، ووصف الآيات بالأحكام صادق على أن كل آية محكمة ، وأما قوله : { وَأُخَرُّ مُتَشَابِهَاتٌ } فأخر صفة لآيات محذوفة ، والوصف بالتشابه لا يصح في مفرد آخر ، لو قلت : وأخرى متشابهة لم يصح إلاّ بمعنى أن بعضها يشبه بعضاً ، وليس المراد هنا هذا المعنى ، وذلك أن التشابه المقصود هنا لا يكون إلاّ بين اثنين فصاعداً ، فلذلك صح هذا الوصف مع الجمع ، لأن كل واحد من مفرداته يشابه الباقي ، وإن كان الواحد لا يصح فيه ذلك ، فهو نظير ، رجلين يقتتلان ، وإن كان لا يقال : رجل يقتتل . . وتقدم الكلام على آخر في قوله : { فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ } فاعنى عن إعادته هنا . .

وذكر ابن عطية أن المهدوي خلط في مسألة : آخر ، وأفسد كلام سيبويه ، فتوقف على ذلك من كلام المهدوي . .

{ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ } هم نصارى نجران لتعرضهم للقرآن في أمر عيسى ، قاله الربيع . أو : اليهود ، قاله ابن عباس ، والكلبي ، لأنهم طلبوا بقاء هذه الآية من الحروف المقعطة والزيغ : عنادهم . .

وقال الطبري : هو الأشبه . وذكر محاورة حي بن أخطب وأصحابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم (في مدة ملته ، واستخراج ذلك من الفواتح ، وانتقالهم من عدد إلى عدد إلى أن قالوا : خلطت علينا فلا ندري بكثير نأخذ أم بقليل ؟ ونحن لا نؤمن بهذا . فأنزل الله تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَـَـيْكَ الْكِتَـَابَ } الآية ، وفسر الزيغ : بالميل عن الهدى ، ابن مسعود ، وجماعة من الصحابة ، ومجاهد ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، وغيرهم . .

وقال قتادة : هم منكرو البعث ، فإنه قال في آخرها { وَمَا يَعْزِمُكَ تَأْوِيلُهُ إِلَّا }
اللَّهِ { وما ذاك إلا يوم القيامة ، فإنه أخفاه عن جميع الخلق . وقال قتادة أيضا :
هم الحرورية ، و : هم الخوارج . ومن تأول آية لا في محلها . وقال أيضا : إن لم تكن
الحرورية هم الخوارج السبائية ، فلا أدري من هم . .

وقال ابن جريح : هم المنافقون . وقيل : هم جميع المبتدعة . .
وظاهر اللفظ العموم في الزائعين عن الحق ، وكل طائفة ممن ذكر زائغة عن الحق ، فاللفظ
يشملهم وإن كان نزل على سبب خاص ، فالعبرة لعموم اللفظ . .

{ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ } قال القرطبي : متبعو المتشابه إما طالبو
تشكيك وتناقض وتكرير ، وإما طالبو ظواهر المتشابه : كالمجسة إذ أثبتوا أنه جسم ،
وصورة ذات وجه ، وعين ويد وجنب ورجل وأصبع . وإما متبعو إبداء تأويل وإيضاح معاينة ،
كما سأل رجل ابن عباس عن أشياء اختلفت عليه في القرآن ، مما طاهرها التعارض ، نحو : {
وَلَا يَتَسَاءَلُونَ } و { أَقْبِلْ * بَعِضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ } { وَلَا
يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا } { وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } ونحو
ذلك . وأجابه ابن عباس بما أزال عنه